القشيري ونقده لصوفية عصره

د. نجاة سعد أحمد

مدرس الفلسفة الإسلامية

كلية الآداب – جامعة المنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد :-

يعد التصوف جانبًا أصيلاً من جوانب الفلسفة الإسلامية بوصفه تجربة روحية يحياها الصوفي عبر معراجه الروحي، يسعى من خلالها للوصول إلى غاية تتمثل في التحقق بمعرفة الله تعالي كشفًا ومشاهدةً، ولهذا انتهي الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) إلى سلوك طريق الصوفية بعد تبحره في شتي العلوم، ذلك لأن " جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به "[١]

ومن ثم حق للإمام القشيري (٤٦٥ هـ) أن يتحدث عن جماعة الصوفية وأهل الطريقة بنبرة ملؤها الفخر والإعزاز، حين يصفهم بأنهم صفوة أولياء الله الذين فضلهم على الكافة من عباده، بعد رسله وأنبيائه، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، فقلوبهم معادن أسراره، اختصهم الله من بين الأمة بطوالع أنواره ومفاتيح أسراره.فقد تحققوا بما كلفهم به الحق تعالى من واجبات التكليف، والتزموا أحكام الشريعة في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم . فأصبحوا كما يردد - القشيري - على الدوام الغياث للخلق كافة، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق، ذلك لأنه تعالى " صفاهم من كدورات البشرية، ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلي لهم من حقائق الأحدية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية، وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية ."[٢]

هكذا كان الصوفية منذ بدء طريقهم، لكن يبدو أن كثيراً من أحوالهم قد ساءت على يد بعضهم، ولذا فقد يحق لنا أن نتساءل في صدر التمهيد لهذا البحث. هل استمر الحال في هذه الطريقة على ما كان عليه عند شيوخها الأوائل، أم أصابها الابتلاء الذي أصاب غيرها من الطوائف على يد بعض الغلاة، أو المنتسبين إليها بهتاناً وزوراً؟

يجيب القشيري على هذا التساؤل في مقدمة رسالته بقوله "اعلموا- رحمكم الله - أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا من هذه الطائفة إلا أثرهم، كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأري نساء الحي غير نسائها[٣]

لم يستمر الحال في طريقة الصوفية إذن كما كان، فقد نالها التراخي والتفريط في الآداب والأصول، حتى كادت تزول بالحقيقة، بعد أن مضى الشيوخ الكبار الأجلاء من أصحاب الاقتداء، وقل شباب المريدين أصحاب الهمة الصادقة والإخلاص المقتدي بسيرتهم وسنتهم. فكان منه ما كان من زوال الورع واشتداد الطمع، وارتحال حرمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشريعة عن القلوب، فضيعوا بهذا الطريقة أو كادوا، وكانوا في أنفسهم أشد خطراً عليها من أعدائها المخالفين لها. وبهذا قدر للتصوف - شأنه شأن غيره من فروع الفلسفة الإسلامية الأخرى- أن يمر بفترات متعاقبة بين قوة وضعف، و اعتدال وغلو في الفكر والسلوك عبر رجاله، وعلى مدى تاريخه الطويل.

فكان ذلك ذريعة لتوجيه سهام النقد والتجريح للتصوف وأصحابه، للحط منه والتشكيك في مشروعيته، واستمرت هذه الحملات منذ القدم، وحتى الآن، وربما أدرك الأمر كبار رجال التصوف وشيوخه الأوائل، فقدموا نقداً ذاتياً من جانبهم لما اعترى التصوف من انحرافات على يد بعض المنتسبين إليه، غيرة منهم على الطريقة وآدابها من جهة، وبغية الإصلاح الداخلي من جهة أخرى، ومن أمثال هؤلاء الصوفية الكبار الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ)، سراج الدين الطوسي (ت :٣٧٨ هـ)، السلمي (ت :٤١٢ هـ)، والإمام أبو حامد الغزالي .

ولم يكن الأمر ببعيد عن القشيري الذي يعد من أبرز الذين قدموا نقدًا للتصوف والصوفية في عصره، غيرة على الطريقة وأهلها من جهة، وإشفاقا على القلوب من أن تظن بالخطأ أن هذا شأن التصوف والصوفية على وجه العموم ومنذ البدء من جهة أخرى، فكان بهذا ممارساً لنوع من النقد الداخلي لشتي التجاوزات الفجة عند بعض الصوفية من أهل عصره، بغية النصح والتقويم. فلم تزل الصوفية بخير طالما نبه بعضهم البعض إلي تقصيره، أما إذا ركنوا إلى الكسل والتراخي لنالهم ما نال غيرهم من قصور. فالنقد الذاتي مهم في عموم الطوائف، لتصحيح الخطأ، ورد الأعوج إلى الجادة المستقيمة.

ربما لهذا اتخذ التصوف في القرن الخامس اتجاهاً إصلاحيا واضحا، على أساس إرجاعه إلى حظيرة الكتاب والسنة . ويعتبر القشيري، من أبرز صوفية هذا القرن الذين نحوا بالتصوف هذا المنحي السني، وسينهج نهجه في الإصلاح الغزالي في النصف الثاني من هذا القرن، ويكتب بذلك الانتصار للتصوف السني، فينتشر على نطاق واسع جداً في العالم الإسلامي وتستقر دعائمه زمناً طويلاً في المجتمعات الإسلامية.(٤)

ومن هنا وقع الاختيار على موضوع هذا البحث وهو : القشيري ونقده لصوفية عصره، و الإمام القشيري هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ المشايخ في وقته، وأستاذ الجماعة . كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي، وهو أحد العلماء بالشريعة والحقيقة والفروسية والوعظ والكلام والتصوف والمعاملات وأحوال القلوب، وقد ولد في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلا ثمائة، وتوفي في صبيحة يوم الأحد السادس عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة، أما أشهر مصنفاته:

١- التفسير الكبير.
٢- الرسالة القشيرية.
٣- التحبير في التذكير، وهو شرح لأسماء الله الحسني.
٤- آداب الصوفية.
٥- لطائف الإشارات.
٦- كتاب الجواهر.
٧- نحو القلوب الكبير والصغير.
٨- ترتيب السلوك.
٩- شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحن.
١٠- أحكام السماع.
١١- حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصلاح[٥].

وهو شخصية مهمة في تاريخ التصوف الإسلامي، إذ يعد واحداً من كبار أصحاب الاتجاه السني في التصوف، في مقابل التصوف الفلسفي، وقد اخترته كموضوع لورقتي البحثية هذه لتقعيده للطريق الصوفي وآدابه من ناحية، ولنقده لأي ممارسات وأوضاع خاطئة من قبل بعض الصوفية الذين انحرفوا عن آداب الطريقة وأصولها من ناحية أخرى. فقد كان حريصاً في تصوفه، وتصانيفه على أن يقدم صورة واضحة ونقية للصوفية الإسلامية، لذا لم يتردد في الإبانة عنها في غير ما موضع من مؤلفاته، لكنني سأضرب صفحاً عن كل هذا، وسأركز على بعض الجوانب النقدية التي شغلت الباحثة بحكم موضوع البحث.

تلك أهم المبررات التي وجهتني صوب موضوع هذه الورقة البحثية في محاولة لإلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة الروحية لذلك الصوفي الكبير، وهو الجانب النقدي لديه.

ويجدر بنا في هذا التقديم الإشارة إلى الدراسات السابقة التي تناولت القشيري بالدرس والتحليل، فقد نجحت هذه الدراسات في إماطة اللثام عن بعض جوانب تجربته الروحية، لهذا يجدر بنا التنبيه إلى أهمها، خاصة ما كان منها موضوعاً لرسالة جامعية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى دراسة بعنوان: "القشيري وتصوفه وأدبه"، للباحث إبراهيم بسيوني، وهي رسالة دكتوراه قيمة انشغلت بالجانب الأدبي عند القشيري بصورة أكثر تركيزا من الجانب الصوفي، تبعا للتخصص العلمي للباحث. جامعة أم القري، ١٩٦٧، ودراسة أخرى بعنوان: "الإمام القشيري وآراؤه الأصولية" للباحث نفسه .

ثمة دراسة أخرى بعنوان: "الإمام القشيري وكتابه لطائف الإشارات"، وهي رسالة دكتوراه، للباحث محمد سعيد محمد، ١٩٨١م

كذلك تجدر الإشارة إلى الدراسة المقدمة لنيل درجة الماجستير وعنوانها: "التفسير الإشاري عند الإمام القشيري من خلال كتابه لطائف الإشارات" للباحثة جميلة محمود، بكلية الدعوة، جامعة أم درمان. ١٩٩٧

هذا عن موضوع البحث والدراسات السابقة، أما عن منهجي في هذه الورقة البحثية فقد آثرت أن أعتمد على المنهج التحليلي المقارن، والمنهج النقدي، حيث عوّلت على تحليل آراء القشيري وعرضها في نسق واضح يكشف عن أهميتها ومكانتها، من خلال المقارنة بينه ومن سبقوه قدر المستطاع، مع إبراز الجانب النقدي لديه في مواضع محددة ركزت فيها على مسائل بعينها تدخل ضمن مقتضيات البحث.

ومن ثم أشير في هذا التمهيد إلى أهم التساؤلات التي شغلت بها، والتي جاءت هذه الورقة البحثية محاولة للإجابة عنها، وهي على النحو التالي:

- ما اعتقادات الصوفية في مسائل الأصول؟
- كيف فهم القشيري وشيوخ الصوفية من قبله مفهوم التوحيد باعتباره ركن الإسلام الأول؟
- ما موقف الإمام القشيري من الحلولية؟
- ما علاقة الشريعة بالحقيقة؟
- كيف صحح القشيري بعض المفاهيم المغلوطة لدى بعض الصوفية كالتوكل والفقر؟
- كيف انتقد القشيري الممارسات السلوكية غير الصحيحة لبعض المنتسبين للتصوف؟
- ما علاقة الشيخ بالمريد كما حددها القشيري؟

وبناءَ على ذلك سأركز على بعض الجوانب النقدية المتمثلة في النقاط الآتية ..

١- أولا: جانب العقيدة.

٢- ثانيا: جانب الشريعة.

٣- ثالثاَ: نقد الممارسات الصوفية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: جانب العقيدة :

أشار الإمام القشيري منذ البدء إلى اعتقادات الصوفية في مسائل الأصول، فنبه إلى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع، وساروا على نهج السلف وأهل السنة من " توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل . وعرفوا ما هو حق القدم . وتحققوا بما هو نعت الموجود من العدم" [٦].

فالتوحيد في عقيدة الإسلام كما يعرفه القشيري هو العلم والحكم بأن الله واحد لا شريك له في ذاته وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته، فهو توحيد خالص يجمع بين التنزيه والتشبيه، بلا تمثيل أو تعطيل. تصديقاً لقوله تعالى: "وإلهكم إله واحد"[٧].

وهو على ثلاثة أقسام[٨]:

١- توحيد الحق للحق: وهو علمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد، قال تعالى: "قل هو الله أحد"[٩].

٢- توحيد الحق سبحانه للخلق، وهو حكمه سبحانه بأن العبد موحد، وخلقه توحيد العبد.

٣- توحيد الخلق للحق سبحانه: وهو علم العبد بأن الله عز وجل واحد، وحكمه وإخباره عنه بأنه واحد.

وقد تعددت مضامين شيوخ الصوفية في معني التوحيد كما يقول القشيري، نذكرمنها قول الجنيد (٢٩٧ هـ) شيخ الصوفية في عصره، لما سئل عن التوحيد فقال : التوحيد هو" إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته: إنه الواحد، الذي لم يلد ولم يولد. بنفي الأضداد، والأنداد والأشباه، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل "[١٠].

وهو ما أكد عليه عبد القادر الجيلاني (٥٦١ هـ) من بعده، فينصح المريدين بالاتباع من غير ابتداع، فيقول: " امشوا في الجادة المستقيمة، لا تشبيه ولا تعطيل، بل اتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تكلف ولا تطبع ولا تشدد ولا تمشدق ولا تمعقل"[١١] . فهو بهذا يجعل التوحيد الحق مخالفا لَكل ما يصوره العقل من الأوهام والأفكار ويتخطي كل التصورات . ودليل ذلك قوله تعالى: " ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير"[١٢].

ولا يختلف الأمر كثيراً عند شيوخ الصوفية المتأخرين، بدليل ما نجده لدى الأمير عبد القادر الجزائري (ت: ١٨٨٣ م) وهو واحد من كبار شيوخ الصوفية المتأخرين، فإن الذي يرتضيه رأيا ويدين به هو عقيدة اتباع سلف الأمة؛ بل إنه يعلن أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طريقته في التوحيد ليست عين طريقة المتكلمين ولا الحكماء الذين تكلموا في الإلهيات، ويؤكد على ذلك في صدر مواقفه فيقول: و"طريقة توحيدنا ما هي طريقة المتكلم ولا الحكيم المعلم، ولكن طريقة توحيدنا الكتب المنزلة، وسنن الرسل المرسلة، وهي التي كانت عليها بواطن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والسادات العارفين".(١٣)

فظاهر من كل ما سبق، أن كل هذه المعاني المبثوثة في عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل السلف و أهل السنة في مسائل الأصول، وفي مقدمتها التوحيد .ومن ثم يتجه القشيري لتصحيح الجانب العقدي لمّا انحرف بعض الصوفية فقالوا بالحلول.

أ- نقد القول بالحلول(الحلولية):

الحلول معناه في الاصطلاح العام : أن يحل أحد الشيئين في الآخر، وهو " حلول سَرَياني "، و " حلول جواري، أما الحلول السرَياني فهو : عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيُسمَّى الساري حالاً، والمسري فيه محلاً.

وأما الحلول الجواري : عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز.(١٤) هذا هو الحلول : إثبات لوجودين، وحلول أحدهما في الآخر.

وقد ذكر صاحب الفرق بين الفرق، أصناف الحلولية، فأشار إلى كونهم في الجملة عشرة فرق كانت كلها في دولة الإسلام، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع. وجعل تفصيل فرقها ترجع في الأكثر إلى غلاة الروافض؛ ذلك أن السبئية، والبيانية، والجناحية، والخطابية، والنميرية. منهم بأجمعها حلولية، بالإضافة إلى المقنعية، والرزامية والبركوكية، واالحلمانية، وقوم يقال لهم حلاجية ينسبون إلى الحسين بن منصور المعروف بالحلاج، وقوم يقال لهم العذافرة، وأخيرا قوم من الخرمية.(١٥)

وبعيدا عما ذكره البغدادي من جعله الحلاج ومن تبعه من الحلولية الذين قصدوا إلى إفساد معني التوحيد الصحيح كما جاء في الكتاب والسنة، نجد شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)يدفع الشبهة عن أبي يزيد البسطامي (ت: ٢٦١هـ) والحلاج (المقتول: ت: ٣٠٩ هـ) وغيرهما من أصحاب التجريد، فقد كانوا " أقمار سماء التوحيد، فلما أضاءت أرض قلوبهم بنور ربهم باحوا بالسر الواضح الخفي، فأنطقهم الله الذي أنطق كل شيئ، والحق ينطق على لسان أوليائه".(١٦)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى النقيض من ذلك، هاجم ابن الجوزي الحلولية في شخص الحلاج، فكتب كتابا في أخبار الحلاج وما قال العلماء فيه، و تندر على من دافع عنه من الصوفية، فوسمهم بالجهل، ويذكر منهم على وجه الخصوص إبراهيم بن محمد النصرآباذي، الذي حكي عنه قوله: إن كان من النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج، وعلى هذا " أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلاً من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل".[١٧]

وعلة الأمر ترتد إلى أن الحلول في اصطلاح القائلين به من الصوفية معناه حلول الله - عز وجل في مخلوقاته، أو بعض مخلوقاته . وهو ما اعتبره القشيري بدعة شنيعة، جاءت تكشف عن سوء فهم لمعنى الأسماء و الصفات الإلهية في حقيقتها، لأنهم جوزوا "قيام الصفة القديمة بالذات الحادثة"[١٨]، وهذا باطل. وقد استندوا في زعمهم هذا إلى ما جاء في الخبرمن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَى بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه"[١٩]، وهنا يدحض القشيري أصل دعواهم، فيبين أن ما جاء في الحديث الشريف إخباراً عن الحق تعالى ليس لهم به حجة في ظاهره، لأنه تعالى لم يقل يسمع بسمعي، ولا يبصر ببصري، بل قال بي يسمع وبي يبصر، فإذا كان الاتفاق كما يقول الإمام القشيري أن " ذاته لا يجوز أن تكون لأحد سمعاً ولا بصراً، فإذا تركوا الظاهر لم يبق إلا التأويل، فالواجب الاشتغال بالتأويل الصحيح دون الباطل "[٢٠].

وإطلالة على قول القشيري تكشف لنا ضرورة أن يتحقق العبد من حقيقة كونه لا يجوز عليه أن يتصف بصفات ذات الحق سبحانه، بالتالي لا مجال للحديث هنا عن علمٍ للعبد بعلم الله، أو سمع بسمعه، أو قدرة بقدرته، أو حياة بحياته، ولا بقاء ببقائه، أما علة ذلك فترتد إلي حقيقة قوله: " الصفة القديمة لا يجوز قيامها بالذات الحادثة، كما لا يجوز قيام الصفة الحادثة بالذات القديمة".[٢١]

هذه الحقيقة التي يؤكد عليها القشيري مراراً وتكراراً ترتد إلى قناعته الخاصة بأن مثل هذا القول يهدم التوحيد، الذي هو الأصل الأول في عقيدة الإسلام، وهذا خروج عن الدين وأصوله، وانسلاخ عن الإسلام بالكلية، وحفظ هذا الباب هو الأصل في التوحيد، فلا غرابة إذن إن بدأ شيخنا حديثه عن اعتقادات طائفة الصوفية في مسائل الأصول، بالإقرار بأن شيوخ هذه الطائفة بنوا " قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل"[٢٢].

إنه التوحيد الحق الذي يجمع بين التنزيه والتشبيه معاً بلا تعطيل ولا تمثيل، وهو ما افتقده غيرهم من أصحاب النظر العقلي، حين أعملوا العقل فيما يخرج عن نطاقه، وتكلف بما لا يطيق فعثر وعثروا معه بين معطل للصفة، ومشبه مجسم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراَ.

وههنا دقيقة، إذ نلاحظ القشيري رغم تحفظه واستنكاره الشديد لأقوال بعض غلاة الصوفية في قولهم بالحلول والإتحاد، غير أننا لا نجده يصرح بأسماء ويشير إلى شخصيات بعينها معروفة في تاريخ التصوف الإسلامي إنما ينتقد الفكرة وحسب.

ربما لهذا نجده وهو مؤرخ الصوفية الشهير لم يدرج الحلاج في رسالته الشهيرة، وإن نقل عنه بعض الأقوال، وهذا يعطينا دلالة كافية على تحرج الشيخ وإخراجه للحلاج من دائرة التصوف السني الذي كان القشيري من ضمن واضعي خطوطه[٢٣].

ويرتد الأمر فيما أظن إلى طبيعة أسلوبه في الكتابة والنقد الذي يتميز بالاعتدال والبعد عن السب واللعن إلى حد ما، وهو كذلك ليس مهووسا بالتكفير والإنكار تجاه الآخرالمخالف، وهو ما تؤكده تصانيفه، ذات الطابع الخاص "كالرسالة القشيرية"، "وشكاية أهل السنة بما نالهم من المحنة".

لكن الإنصاف يقتضي القول إن الحلاج لا يقر بالحلول ولا بالاتحاد اعتقاداَ، فهو بوصفه مسلماَ يوقن أن ذلك يستحيل على الله، فكما أن الاتحاد يستحيل عقلاَ، ويتنافي مع التوحيد الذي هو خصيصة مميزة لدين الإسلام، فكذلك يستحيل الحلول أيضاَ على الله تعالى في الأجسام . وما كان من دعاوي التكفير والزندقة في حق هؤلاء الشيوخ يعكس في أغلب الأحيان سطحية في التعامل مع اللغة والمعاني الصوفية من قبل الغرباء عنهم .

فلا يستطيع أحد أن يبحر في أغوار الصوفية بصفة كاملة من الخارج، ذلك لأن الصوفية تتضمن المشاركة والمران والتجريب . وعلى الرغم من أن الصوفيين وضعوا كتباَ بلا حصر مما قد ينطبق على ظروف محددة..فإن أحداَ لن يستطع إليها فهماَ، أو يتوصل إلى معان لها أبعد من تلك السطحية، ما لم يكن من المطلعين على بواطن الأمور. فلقد درج الغرباء عن الصوفية على التوقف عند معانيها السطحية وحسب.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا :- جانب الشريعة:-

نقطة البدء عند القشيري قبل الدخول في الطريق، هي أن يتأكد الشيخ من أن المريد ومنذ بدء الطريق عالماً بالعلوم الشرعية، وأحكام الشرع، عاملاً بها، وهو ما يثبته قوله، فلابد للمريد " في بداية أمره من اعتقاد صحيح، حاصل عن البرهان الصريح، فيكون بالله سبحانه عالماً، فيعرف حدوث فعله، وأنه شاهد على صفاته من قدرته وعلمه ومشيئته ...الخ"[٢٤] وهو بهذا يدلل على ما سبق وقرره لما نبه إلى أن شيوخ الصوفية بنوا قواعد أمرهم على اعتقادات صحيحة صانوا بها عقائدهم عن البدع، وساروا على نهج السلف الصالح وأهل السنة والجماعة.

ولهذا كانت الشريعة مطلباً ضرورياً عند أبي سعيد ابن أبي الخير(٤٤٠هـ) شأنه شأن كل الصوفية، أو على نحو أدق كل مؤمن كامل في إيمانه. وإذا كانت الشريعة هي نقطة البدء وعدة الأمر، فلأنها وسيلته للعبور إلى طلب الحقيقة التي ينشدها، فهما معاً نعني الشريعة والحقيقة من الأهمية بمكان للوصول إلى غايته ومنتهاه، وهي معرفة الله تعالى وعبادته العبادة التي تليق بعبوديته .[٢٥]

الصوفي إذن ليس جاهلاً بالعلوم الشرعية[٢٦] كما يدعي خصوم التصوف، طالما كان العلم بالعلوم الشرعية من قبل المريد أمرا ملازما له منذ البداية، ، وهو ما أكده لنا القشيري من خلال عدد من المواقف التي تنبه لهذا الأمر، ومنها ما رواه من أن فقيهاً من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة الشبلي في جامع المنصور، وقد سأل أصحاب أبي عمران يوماً الشبلي عن مسألة الحيض، وقصدوا بهذا إخجاله، فما كان من شيخنا الشبلي إلا أن ذكر مقالات الناس في المسألة، والخلاف فيها، فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلي، وقال له : يا أبا بكر، استفدت في هذه المسألة عشرة مقالات لم أسمعها، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل.[٢٧]

وهو ما يؤكده حديث عبد الوهاب الشعراني بعد ذلك حين يقول عن نفسه: " وما ألفت شيئاً من الكتب إلا بعد تبحري في علوم الشريعة، واطلاعي على مذاهب المجتهدين وأدلتهم ..."[٢٨].

فإذا أحكم المريد أمره بينه وبين ربه، فليلتزم بتحصيل العلوم الشرعية بأي وسيلة كانت سواء بالتحقيق، أو بالاستفسار من الأئمة الكبار، فإن صادفه الخلاف في فتاوي الفقهاء، فليلجأ إلى الأخذ بالأحوط بغرض " الخروج من الخلاف، فإن الرخص في الشريعة للمستضعفين، وأصحاب الحوائج والأشغال"[٢٩].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا كان ذلك كذلك، وكانت الطريقة مبنية على علوم الشريعة، فلا عجب لو عرفنا أن الإمام القشيري في بداية الطريق توجه بإشارة من شيخه أبي على الدقاق إلى تحصيل العلوم الشرعية، " فتفرغ لدراسة الفقه على يد أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي، وما إن انتهى من تحصيل علوم الفقه، حتى توجه إلى أبي بكر بن فورك، وكان إماماً في علم الأصول، فأخذ عنه علم الأصول، وبرع فيه إلى أن عد من أرشد تلامذته وتعلم منه أصول الفقه أيضاً، ثم اختلف بعد وفاته إلى مدرسة الأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الاسفرائيني ودرس بها ...ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر الباقلاني المالكي، ومع هذه الأشغال التعليمية كان القشيري يحضر مجلس أبي على الدقاق بانتظام ويجتاز مدارج السلوك بانسجام " [٣٠].

نستنتج من هذا الارتباط الوثيق بين الشريعة وعلومها من جهة، والحقيقة من جهة أخرى، ذلك أن الشريعة هي أمر بالتزام العبودية، والحقيقة هي مشاهدة الربوبية، فالحقيقة بهذا مقيدة بالشريعة، وكل حقيقة خرجت عن أحكام الشريعة فلا يعول عليها، لأن الشريعة "جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضي وقدر، وأخفي وأظهر. "[٣١]

إذن ليس بعجيب أن يلح القشيري على ضرورة التزام الصوفي بالحدود والتكاليف الشرعية، فنجده يوصي باتباع الطاعات، "وبخاصة أداء الفرائض والسنن وركعتي الضحي وبعد كل وضوء ركعتين ..."[٣٢]

وقد وافق الجيلاني غيره من شيوخ الصوفية، حين ينصح الغلام بقوله: " امش تحت ظل كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد أفلحت"[٣٣]

الأمر عينه يؤكده السهروردي (ت٦٣٢ هـ)، حين ينبه إلى بعض المفتونين الذين لبسوا لبس الصوفية، لينسبوا إلى الصوفية، وما هم من الصوفية بشيء، بل هم في غرور وغلط، فقد انتهجوا لأنفسهم مناهج الإباحة، فأسقطوا التكاليف الشرعية بحجة كونها سمة العوام، وهذا هو " عين الإلحاد والزندقة والإبعاد، فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة"[٣٤].

فالشريعة باب للحقيقة، ولا يمكن دخول البيت دون أن تجتاز بابه، وما جاء التصوف ليهدم الدين وأصوله، وإن كان البعض قد تجاوز، فادعي لنفسه التحلل من أداء التكاليف والحدود الشرعية، فهؤلاء كما يصفهم الإمام القشيري: " نقضوا أركان التصوف، وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها " [٣٥].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا كان أحدهم يتحدث عن أهل المعرفة بالله ممن وصلوا كما يقول إلى إسقاط التكاليف الشرعية بدعوى البر والتقرب إلى الله، فهذه دعوي شنيعة، لا يجوز أن تصدر عن صوفي بحق، ربما لهذا كانت إشارة الجنيد إلى التصوف بقوله : " من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة"[٣٦].

فإذا كان ذلك كذلك، فقد حق قول واحد من شيوخ الملامتية أبو محمد عبد الله بن منازل، حين ربط بين تضييع الفروض والسنن من جهة، و الابتلاء بالبدع والضلالات من جهة أخرى، ودليل ذلك قوله: "لم يضيع أحد فريضة من الفرائض، إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن، لم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع"[٣٧].

وهكذا يؤكد القشيري، ومعه شيوخ الصوفية الكبار الواحد تلو الآخر على رفض دعوى بعض دعاة التصوف ممن زعموا الوصول إلى أعلى درجات القرب من الله، فحقت لهم ولايته، وسقطت عنهم تكاليفه الشرعية كالصلاة والصيام وغيرها، كما حلت لهم المحرمات كلها مما نهى عنه الحق جل شأنه من الزنا والخمر وغيرهما.

ومن ثم يمكننا القول إن الشريعة باب للحقيقة، ولا يمكن الوصول إلى البيت دون أن نعبر بابه أولاً، لهذا لما قيل للنصر آباذي ذات يوم: إن هناك من الناس من يركن إلى مجالسة النساء، ويدعي في نفسه العصمة، فما كان منه إلا أن قال: "ما دامت الأشباح باقية، فإن الأمر والنهي باق، والتحليل والتحريم مخاطب به، ولن يجترئ على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات "[٣٨].

ولا غرو في هذا، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن الأصل في التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، فمن أسقط هذه الأصول، فلا يعول عليه في صحيح الطريقة. مهما ادعى في نفسه الولاية، فهؤلاء في أودية الريب والتلبيس يطيحون، وفي الآخرة هم الخاسرون .بما ضيعوا من حدود الله. تلك الحدود التي قال تعالى فيها: "**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**"[٣٩].

لهذا نجد القشيري يثير الويل والثبور على من تجرأ وادعى لنفسه التحلل من التكاليف الشرعية بحجة بلوغه الدرجة العظمي من القرب الإلهي بحيث سقطت معه ما وجب لغيره من المسلمين؛ بل الأمر على النقيض تماما، فلو أن " ولياً من الأولياء سرق نصاباً من جرذ، ووجد فيه استحقاق القطع، أقيم عليه الحد كما يقام على المتهتك، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسقط الحد لصلاحه . والإشارة فيه أن أمر الملك مقابل بالتعظيم، بل كان من كان أعلى رتبة فخطره أتم وأخفى، والمطالبة عليه أشد" [٤٠].

فلا تستخف أيها المدعي بأوامره ونواهيه، فقد قال تعالى في كتابه الكريم: "**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ**"[٤١]، بل إن المريد الصادق من شأنه كما يقول الشعراني: أن يحافظ على آداب الشريعة، ويمشي على ظاهرها ما أمكنه، ذلك لأن " الترقي كله في امتثال أمر الشارع "[٤٢].

وبناءً على ذلك، فإن تحلل البعض من مدعي التصوف من آداب الشريعة وأحكامها أمراً غير مقبول لدي القشيري، ودعوى شنيعة لا تصدر عن صوفي محق، حتى عند حالات الوجد وغلبات بوادي الحقائق على العبد، لا يخرجوا عن حد العلم الشرعي ولا يخلوا بشئ من أحكام الشرع، وهو ما فهمه القشيري من قوله تعالى: "**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**" فيقول: " ويقال صراط الذين أنعمت عليهم حتى لم تطفئ شموس معارفهم أنوار ورعهم، ولم يضيعوا شيئاً من أحكام الشرع"[٤٣]، وهو بالتالي حريص على الالتزام بآداب الشريعة في كل الأحوال، ومهما غلبت على العبد سطوة الانمحاء، واستلبه سلطان الفناء.

من هنا كان رفض القشيري لانتهاكات البعض ممن أدعوا التحلل من أحكام الشريعة، بدعوى القرب من الله، وهي مسألة شغلت الإمام كثيرا، حتى راح يذكر لنا في رسالته القشيرية جماعة من كبار شيوخ هذه الطائفة وسيرتهم، وكان الغرض من ذكرهم "التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة، متصفون بسلوك طريق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيئ من آداب الديانة، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات، ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً على الله سبحانه وتعالى، فيما يدعيه، مفتونا، هلك في نفسه، وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله"[٤٤].

ثالثاً:- نقد الممارسات الصوفية:-

رصد القشيري المغالطات السلبية التي شاعت بين بعض الصوفية في صورة مفاهيم باطلة وممارسات فاسدة، خرج أصحابها عن آداب الطريقة، فضلاً عن مخالفتهم لأصول الشريعة وأحكامها .فانبرى يحذر من سوء أفعالهم . ويبين حقيقة هذه المفاهيم والممارسات على النحو التالي:-

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ- التواكل والقعود عن العمل:

عرض القشيري مفهوم التوكل على الله في أصله الصحيح، "، فأشار إلى أن التوكل الحق معناه تفويض الأمور إلى الله جل شأنه، وتمام العلم بأنه وحده القادر على إيجاد الأسباب من عدمها، فإذا عرف العبد هذا، علم " أن مراده لا يرتفع إلا من قبل الله، حصل له أصل التوكل"[٤٥].

وهذا القدر من العلم والتفويض، على ما يري القشيري، فرض على العبد المؤمن، لكونه من شرائط الإيمان، وهو يستدل على ذلك بقوله تعالى: "**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**"[٤٦]، فظاهر التوكل الذي هو لعوام المؤمنين، يتمثل في العلم بأن قضاءه تعالى لا راد له ولا رجوع عنه، أما حقائق التوكل ولطائفه التي هي لخواص المؤمنين، فتتمثل في "شهود الحادثات بالله ومن الله ولله، فإن من فقد ذلك، انتفي عنه اسم الإيمان"[٤٧].

وههنا يبدو القشيري متفقاً وما أكد عليه الطوسي من قبل، حين جعل التوكل مقاماً شريفاً قد أمر الله تعالى به وجعله مقروناً بالإيمان، تصديقاً لقوله جل شأنه: "وعلى الله فليتوكل المتوكلون "[٤٨]، وقال في موضع آخر: "وعلى الله فليتوكل المؤمنون"[٤٩]، فخص "توكل المتوكلين من توكل المؤمنين"[٥٠].

فليس بعجيب إذن أن يربط القشيري بين التوكل الصحيح، والإيمان، والفناء، ودليل ذلك ما حدده من أحوال كسكون القلب والطمأنينة، وزوال الانزعاج والاضطرار، جعلها أحوالاً تلحق بالتوكل الحق على وجه الكمال. وكان الناس فيها على مراتب ودرجات، ولكل " درجة من هذه الأقسام اسم من حيث الاشتقاق، أو من حيث الاصطلاح"[٥١].

فإذا مضينا مع القشيري لنجمع مراتب وأحوال التوكل سنجدها على النحو التالي:-

تعد القناعة أول رتبة للعبد المتوكل، وتكون حين يكتفي بما في يده، ويستريح قلبه، فلا يطلب الزيادة عليه، ثم يأتي السكون في المرتبة التالية.

بسكون القلب عند فقد الأسباب، وألطف من هذا، أن يكتفي العبد بعلمه أنه تعالى عالم بحاله، فيسلم أمره له، ويشتغل بما أمره، ويعمل على تحقيق طاعته، وعندئذ " لا يراعي إنجاز ما وعده، بل يكل أمره إلى الله ..وهذا هو التسليم"[٥٢].

ويأتي فوق هذه الحال، رتبة التفويض، وتتحقق عندما يكل العبد أمره كله لله، فلا يقترح، ولا يختار، وتستوي عنده وجود الأسباب وعدمها، لكنه في الوقت ذاته لا ينقطع عن أداء ما ألزمه الله، بل يتوقف عن التفكير في حال نفسه، بعلمه أنه مملوك لمولاه، فما سيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالتالي أولي بالعبد من نفسه.فإذا ارتقى عن هذه الحال وصل إلى مرتبة الرضا، حيث الراحة في المنع تفوق لذة ما يجده غيره عند تحصيل مراده، وأخيراً تجئ الموافقة، والعبد في هذه الحال يتنسم بزوائد الأنس عند نسيم القرب، وذلك " بنسيان كل أرب، ونسيان كل وجود سبب أو عدم وجود سبب"(٥٣).

ههنا يكون الاستيلاء، وأعني به استيلاء سلطان الحقيقة، بحيث يؤخذ العبد عن جملته بالكلية، حيث يربط القشيري هذه المرتبة الرفيعة من درجات المتوكلين على الحقيقة، بالتوحيد عن جد، ودليل ذلك قوله: "والعبارة عن هذه الحالة أنه يحدث الخمود والاستهلاك، والوجود والاصطلام والفناء....وأمثال هذا، وذلك هو عين التوحيد، فعند ذلك لا أنس ولا هيبة، ولا لذة ولا راحة ولا وحشة ولا آفة"(٥٤).

بالإضافة إلى ذلك، يجعل القشيري الصلة عامرة بين حقيقة اسمه تعالى الرشيد والتحقق به من جهة، وبين حسن التوكل على الله من جهة أخرى، فالرشيد اسم من أسمائه تعالى ورد به الخبر، ومعناه المرشد فالله تعالى يتولى إرشاد أوليائه من المؤمنين بهداية قلوبهم لمعرفته، وهو ما فهمه القشيري من قوله تعالى: "**يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**"(٥٥)، ثم إرشاده لعباده لاختيار طريق الصلاح بلزوم طاعته والترقي عن مخالفته، تصديقاً لقوله تعالى: "**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**"(٥٦)، وإمارة من يرشده الحق لإصلاح نفسه هو " أن يلهمه حسن التوكل عليه تفويض أموره بالكلية إليه واستجارته إياه في كل خطب، واستخارته في كل شغل"(٥٧).

فإذا كان ذلك كذلك، فلا عجب إذن، إن كان الشقي عند القشيري هو من بقي في أسر التدبير ونسيان جريان التقدير، بتغافله عن حقيقة التوكل على الله تعالى الرشيد، أما السعيد فهو بذلك " من رجع من ظلمات التدبير، وحصل على وصف شهود التقدير...وعلم أن الحادثات كلها لله سبحانه "(٥٨).

كذلك يربط القشيري بين تحقق العبد بحقيقة اسميه تعالى الحي القيوم، وبين التوكل على أصله، فوصفه تعالى بالحي لأن له الحياة، والله تعالى حي، والدليل على ثبوت الوصف له تعالى، إنه " عالم قدير مريد، والحياة شرط في العلم والقدرة"(٥٩).

أما معني قيوم في حقه تعالى، أنه وحده المدبر والمتولي لجميع الأمور التي تجري في العالم، وهو ما فهمه القشيري من قوله تعالى: "**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**"(٦٠)، فإذا تحقق العبد بهذا، وعلم أنه سبحانه حي لا يموت، وقديم لا يجوز في حقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العدم، وهو قيوم على مجري الأمور وحده، وإليه ترجع المحدثات كافة، عندئذ فقط يكون "صح توكله عليه "[٦٢].

وهو ما يثبته قوله تعالى: "**وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ**"[٦٣]، القشيري إذن يصل دوما بين أحوال الصوفية على وجه العموم، والعلوم والمعارف الشرعية، التي تبدأ بالعلم بالتوحيد وحقيقة أسمائه وصفاته، وما يجوز أن يقال في حقه تعالى، وما لا يجوز . ومن ثم كان تأكيده على المريد في بداية الطريق بضرورة تحصيل العلم الشرعي.

مما سبق ذكره، يمكن أن نقول إن التوكل محله القلب، أما الحركة التي بالظاهر فلا تنافي توكل القلب، طالما أن العبد قد تحقق أن الحادثات جميعها من قبل الحق تعالى، والتقدير له وحده، فإن " تعسر شيئ فبتقديره، وإن اتفق شيئ فبتيسيره"[٦٤].

ولنا في هذا رد حاسم على مدعي التصوف ممن ركنوا إلى الكسل والقعود عن العمل بدعوى الزهد والتوكل على الله، فصريح حالهم ينطق بتواكل لا توكل، إذ العمل غير مرفوع هنا، وهو بهذا يستقيم وما جاء في النصوص الدينية قرآناَ وسنة، فقد روي عن أنس بن مالك أنه قال : " جاء رجل على ناقة له، فقال : يا رسول الله، أدعها، وأتوكل ؟ فقال صلي الله عليه وسلم : اعقلها وتوكل "[٦٥]

ويمضي القشيري ليحكي لنا على لسان أبا جعفر الحداد، ما يؤكد الفهم الصحيح لحقيقة التوكل من جانب شيوخ الصوفية الكبار، فيقول: "مكثت بضع عشرة سنة أعتقد التوكل وأنا أعمل في السوق، وآخذ كل يوم أجرتي، ولا أنتفع منها بشربة ماء، ولا بدخلة حمام، ولكن أجئ بأجرتي إلى الفقراء في الشونزية، وأكون مستمراَ على حالي"[٦٦].

وتلك إشارة رائعة تبين أهمية العمل وتحصيل أسباب المعاش، بغض النظر عن مستوى، وشكل هذه الأعمال، وما تدره من مال. وتؤكد أن التوكل الصحيح، لا يسقط معه العمل، بل على العكس من ذلك، فهذا الصوفي المعتقد بالتوكل كان يخرج كل يوم للعمل، ثم يتصدق بما كسبه من مال لسد حاجات الفقراء، ولم يمنعه توكله على الله من العمل، وتحصيل أسباب الرزق. وهو الأمر الذي يستقيم وصحيح الدين، بدليل قوله تعالى: "**يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**"[٦٧]، وهو ما يفسره القشيري بقوله: " لم يقل : لا يتاجرون ولا يشترون، ولا يبيعون، بل قال : لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فإن أمكن الجمع بينهما فلا بأس"[٦٨].

وقول القشيري هنا "إن أمكن الجمع بينهما فلا بأس "، ينبه إلى أن الأمر ليس باليسير، لكنه أقرب للمتعذر إلا على الأكابر من أصحاب الهمم العالية، فهؤلاء ممن يؤثرون حقوق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله على حظوظ النفس، فإذا سمعوا الآذان يرفع وصوت المؤذن ينبه حي على الصلاة تركوا ما هم فيه من أمور التجارة والبيع، وهرعوا إلى الصلاة لأداء حق الله عليهم. ومن أمثال هؤلاء يزخر التاريخ الإسلامي بنماذج مشرفة يقتدي بها في هذا المضمار، ومنهم سيدنا عثمان بن عفان و عبد الرحمن بن عوف، الصحابي الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة، ورجل الاقتصاد الإسلامي العظيم.

فليس بصحيح إذن ما ردده خصوم الصوفية استناداً إلى تجاوزات البعض من دراويش هذا العصر وغيره، بأن التصوف يحفز على التواكل والسلبية والقعود عن العمل، وادعاء الفقر والتجرد عن ملكية الأشياء بدعوي الزهد، فكما أن الفرق كبير ما بين حقيقة التوكل والتواكل، كذلك حقيقة الفقر ومعناه لدى شيوخ الطريقة.

ب:- الفقر وحقيقته:-

تلك الحقيقة التي عرض لها القشيري في تفسيره لقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**"(٦٩).

حيث يكشف عن ضربين من الفقر وهما : فقر الخلقة، وفقر الصفة .

أما فقر الخلقة، يقصد به افتقار كل المخلوقات إلى خالقها، باعتبارها موجودة من عدم، وهي تفتقر إليه تعالى ليبديها وينشؤها، ثم تفتقر إليه بعد حصولها ليديم وجودها ويبقيه، فالله بهذا وحده الغني، ونحن جميعاً الفقراء إليه.

وأما فقرالصفة، يقصد به التجرد، وهو على قسمين : فقر العوام بالتجرد عن المال، وفقر الخواص بالتجرد عن الأعلال ليسلم لهم الفقر، فهو هنا يتحدث عن " فقر إلى الله، وفقر إلى شيء هو من الله، معلوم أو مرسوم ..ومن افتقر إلى شيء، استغني بوجود ذلك الشيء، فالفقير إلى الله هو الغني بالله، والافتقار إلى الله لا يخلو من الاستغناء بالله، فالمفتقر إلى الله مستغن بالله"(٧٠).

حقيقة الفقر المحمود إذن تتمثل في تجرد السر عن المعلولات وإفراد القلب بالله. فلا عجب إن كان الشكر على البلوى، والبعد عن الشكوى من آداب الفقر الصحيح المحمود كما حدده القشيري.

وقريب من هذا ما سبق وقرره الطوسي في حديثه عن الفقير الصادق، فقال:" سئل أبو عبد الله المغربي عن الفقير الصادق فقال : الذي يملك كل شيئ، ولا يملكه شيئ"(٧١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا كان القشيري، وغيره من شيوخ الطريقة قد اشترطوا على العبد التجرد عن الدنيا وألا يملك شيئاً، فالمقصود هنا ألا يصل به أمر التعلق بالدنيا إلى البعد عن ربه، وليس مراده أن يصل الأمر بالمرء إلى التواكل والقعود والمسألة، ولا نتصور أن الصوفية حين يوصون بهذه الوصية يرون شيئاً من ذلك وإلا تناقضوا مع أنفسهم، لأنه كيف يطلب إلى العبد أن ينصرف بكل همته إلى الخالق في حين يتاح له أو يجوز له أن يمد يديه لمخلوق؟ بقي أنهم يشترطون وجود العمل الذي يتكسب منه الإنسان عيشه، وعيش من هم في نطاق مسئوليته ...أيا كان هذا العمل صغيراً كان أم كبيراً. المهم أن يكون شريفاً وألا يشد الإنسان إلى حبائل الدنيا، ويقع في دورات أطماعها التي لا نهاية لها، وعندئذ لا يأتي منه شيء.(٧٢)

ج:- علاقة الشيخ والمريد:

قدم القشيري رأياً في المشيخة الصوفية، تضبط علاقة المريد بشيخه بجملة من الحقوق والواجبات المتبادلة بينهما، وألزم كلا الطرفين بها، مما يؤكد على أهمية هذه العلاقة الروحية بين السالك في طريق الله، وأستاذه الشيخ والمعلم والناصح.

يشترط القشيري بداية على السالك في طريق الله ضرورة التأدب بشيخ يوثق في علمه؛ إذ المريد عنده ربيب همة شيخه، وثمرة إرشاداته وتعاليمه، باعتباره صاحب تجربة مسبقة، يلعب فيها علم الشيخ دوراً رئيساً، فالتلمذة "لمن سلك طريق الله سبحانه وتعالى تجعل السلوك في طريق الله أقوى وأسرع، أما من تتلمذ لمن لا يوثق في علمه بهذا الطريق فقد تحجب"(٧٣).

غير أن هذا لايمنع أن يصل المريد في طريقه إلى الله مطلقاً، إذ ربما وصل، ولكن على مهل بلا عجلة، فلا يكون بتلك السرعة التي تحققها همة الأستاذ وعلمه، وكأنه في هذا " أشبه بالولد من محل سوء، أما الأول فيكون كالولد من محل نجيب".(٧٤)

وما ذكره القشيري هنا من ضرورة التأدب بشيخ يوثق في علمه، فهذه حتمية تفرضها طبيعة البداية، فعلم التصوف يمتاز عن غيره من العلوم بأشياء منها الاجتباء الإلهي، والاستعداد للبذل، وضرورة التأدب بشيخ . ذلك لأن العبد وهو يخوض معارك هذا الطريق فيما بينه وبين نفسه الأمارة بالسوء، ومن قلبه المشتاق إلى مزيد من الحقائق والعرفان يكون أحوج ما يكون إلى شيخ يفوقه في التجربة لأنه سبقه إليها، ولأنه خاضها بكل مقاماتها وأحوالها، ولأنه عليم بكل دقائق الرياضات ورقائق المنن...وكيفية معالجة المساكنات والملاحظات في وقتها حتى لا تسد الطريق عليه.(٧٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا ما اتخذ المريد له شيخاً، وقبله الأستاذ، ليكون مرشده في طريقه إلي الله تعالى، فعلى التلميذ كما يقول القشيري ألا يبخل على مريده بعلمه في جميع أحواله، فالمريد ربيب همة شيخه، فإذا كان الأغنياء من الناس يغدقون نعمهم على خدمهم، فكذلك الشيوخ والأولياء ينفقون على مريدينهم من علمهم ونصائحهم وإرشاداتهم، وبالتالي لا يهمل الشيخ المريد الصادق، ومن فعل ذلك " فقد باء من الله بسخط، والله تعالى حسيبه في مكافأته على ما حصل من قبيح وصفه" (٧٦).

وينتقد القشيري بعض الشيوخ، ممن كاشفهم الله عز وجل بأنوار فضله بعلم من آداب الطريق، ثم ضنوا به وحجبوه عن المريدين، على وجه النصح والإرشاد، ويحذر من مغبة فعلهم الذي يستوجب المقت، بنزع البركة عن علم حجب عن مستحقيه، وهو ما فهمه الإمام في تفسيره لقوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ**"(٧٧).

فإذا كان العلماء مطالبين بنشر دلائل العلم، كذلك الأولياء أيضاً، وإن كان الأمر بالنسبة للأولياء مغايراً بعض الشيء، إذ الأولياء مأمورون بحفظ ودائع الأسرار، ضناً بها على من هم ليسوا من أهلها، إلا من كان من مريديهم وراغبي فضلهم .

وههنا دقيقة، فإن كان القشيري قد شدد على ضرورة ما يقدمه الشيخ للمريد من خلاصة لتجربته في طريق الله بمنتهى الإخلاص، فلا يضن عليه بعلمه أو وقته طالما تأكد من صدق مراده، فهو على صعيد آخر مطالب ألا يمنح إشارة الاستمرار إلا لمن يستحقها، وهذا أدب لنا جميعاً، لو اتبعنا خطاه وترسمنا ملامحه لما شهدنا قفزاً بهلوانياً للانتهازي على أكتاف الأكفاء، ولعرف كل أمرئ أنه سينال استحقاق جهده ..درس آخر يقدمه أهل القلوب للمجتمع المملوء بالأوضاع الزائفة التي تورث اليأس والإحباط، وتصيب جهاز المجتمع بالملل والاضطراب .(٧٨)

هذا جانب من رأي القشيري عن المشيخة الصوفية، جعلها سمة مميزة للطريقة وأصحابها من شيوخ ومريدين، وقد رسم خطوطها بدقة جعلت لكل من الطرفين حقوقاً وواجبات يلزم مراعاتها والوفاء بها، فإذا كان العلماء على ما يقول القشيري ورثة الأنبياء فالمريدون لشيوخهم كالأمة لنبيهم، وهنا يتجلي الجانب الآخر؛ إذ يشترط على المريد " ألا يتنفس بنفس إلا بإذن شيخه، ومن خالف شيخه في نفس- سراً أو جهراً- فإنه يرى مغبة سريعاً في غير ما يحبه، ومخالفة الشيوخ فيما يسترونه عنهم أشد مما يظهر بالجهر بكثير لأن هذا يلتحق بالخيانة. ومن خالف شيخه لا يشم رائحة صدق، فإن بدر منه شيء من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك فعليه بسرعة الاعتذار"[٧٩]. وهو فيما أرى قسوة من جانب القشيري في تصوير العلاقة الروحية مابين الشيخ والمريد، وما يلزم عنها من حقوق للشيخ جاءت تصب في صالح الأستاذ على حساب التلميذ، وتتبدى فيما أسماه القشيري الخيانة، ومغبة ردة الفعل السريعة لمخالفته، فما هما في النهاية سوى بشر تجري عليهما أحكام البشرية من سهو وصواب وخطأ.

وقريب من هذا ما صرح به الشعراني، حين نبه إلى ضرورة أن يصدق المريد في محبة شيخه، باعتباره دليله في طريقه إلى الغيب، كدليل الحجاج في الليالي المظلمة، ومن " لازم المحبة الطاعة، ومن لازم عدم المحبة المخالفة، ومن خالف دليله تاه وانقطع سيره وهلك"[٨٠].

فإذا تم ذلك، وتوجه المريد إلى شيخه بالاعتذار الصادق عما كان عليه من تجاوزات، فينبغي على شيخه عندئذ أن يقبله ويجبر تقصيره بهمته، لأن المريدين عيال على شيوخهم .وهو في الوقت ذاته لا يتجاوز عن تقصيره وزلاته، لأن ذلك تضييعاً لحقوق الله.

ومن ثم وجب على الأصاغر من التلامذة بر الشيوخ والأساتذة، كما بر الأبناء بالوالدين وأكثر، فإن الأب يحفظ أولاده من آفات الدنيا، أما الشيخ فهو " يحمي تلميذه عن آفات الآخرة، والأب يربي ولده بنعمته، والشيخ يربي تلميذه بهمته "[٨١].

وههنا دقيقة، فعلاقة المريد بشيخه لطالما كانت ذريعة فتحت أبواب النقد اللاذع والتجريح الموجه للصوفية[٨٢] من قبل المعارضين على مدى تاريخهم، حيث استنكروا هذا الحضور القوي للشيخ على مريده واعتبروا في الأمر مبالغة غير مقبولة، وصوروا علاقة المريد بالشيخ بعلاقة الميت بين يدي الغاسل.

فإذا كان الميت هنا لا حول له ولا قوة بين يدي الغاسل، كذلك المريد عليه التزام الطاعة العمياء لأوامر شيخه وتلقيها كما هي، والالتزام بما يأمر دون أدنى اعتراض، حتى ولو كان ذلك مخالفاً لما جاء في الأحكام الشرعية، وأن يلتزم المريد حسن الظن والثقة بالشيخ طوال الوقت، وان ما يمليه عليه هو الأصوب الذي يصب في صالحه أولاً وأخيراً.

وهذا القول فيه من المبالغة ما فيه، فضلاً عن كونه غير سديد ويحتاج مراجعة، فها هو ذا القشيري يدحض هذا الزعم من خلال تأكيده على حفظ الأولياء وليس عصمتهم؛ إذ العصمة لا تكون إلا في حق الأنبياء فحسب، أما الأولياء من شيوخ الصوفية فلهم الحفظ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي مسألة في غاية الأهمية إذ تعد من الفروق المميزة لحد النبوة والولاية، وتغلق بابا من النقد الموجه لشيوخ التصوف من قبل خصومه، وزعمهم أن الأولياء شاركوا الأنبياء فيما لا يحق لهم .

ودليل ذلك تحديده الدقيق لكلمة ولي؛ إذ الولي عنده على وزن فعيل صيغة مبالغة من الفاعل وهو "من توالت طاعاته، من غير أن يتخللها عصيان...ويكون بمعنى كونه محفوظا في عامة أحواله من المحن. وأشد المحن ارتكاب المعاصي، فيعصمه الحق - سبحانه -على دوام أوقاته من الزلات، وكما أن النبي لا يكون إلا معصوماً، فالولي لا يكون إلا محفوظاً".(٨٣)

نفهم من هذا، أن المعصوم هو ذلك الذي لا يلم بذنب ألبتة، أما المحفوظ فوارد أن تقع منه بعض زلات وهنات على سبيل الندرة، وليس من باب الإصرار عليها. وهو ما فهمه القشيري من قوله تعالى: "**ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**".(٨٤)

وههنا يبدو القشيري متفقاً مع ما سبق وقرره الكلاباذي(ت ٣٨٠ هـ) حين تحدث عن خصوص الولاية من الله للعبد، فنبه إلى أن صاحبها يكون " محفوظاً عن آفات البشرية وإن كان طبع البشرية قائماً معه باقياً فيه "(٨٥).

فمن كانت هذه صفته لم يكن للإغواء طريق إليه، لقوله تعالى : "**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**"(٨٦)، وهو مع هذا " ليس بمعصوم من صغيرة ولا كبيرة، فإن وقع في إحداهما قارنته التوبة الخالصة، والنبي معصوم لا يجري عليه كبيرة بإجماع ولا صغيرة عند بعضهم".(٨٧)

فإذا ولينا وجهنا شطر الجيلاني، ففي رأيه أن الأولياء محفوظون بتوفيق من الله من الوقوع في دائرة المعصية . ولكن ليس على معني أنهم معصومون مطلقا من الوقوع في الذنوب . فالحفظ لهم بمحض الهداية من الله، والتوفيق شامل، لكن العصمة ليست لهم، إذ هي تختص بالأنبياء عليهم السلام، ليقع الفرق بين النبوة والولاية على حد قوله.(٨٨)

د - السماع :-

ناقش القشيري رياضة السماع وأحوال السامعين، وهو يستدل على مشروعيته، بقوله تعالى: "**فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**"، (٨٩) حيث يصرح بأن اللام في قوله القول تقتضي التعميم والاستغراق، لذا مدحهم الله باتباع الأحسن منه.ومن هنا اعتبر سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المستلذة مباح في الجملة، لكنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشترط لقبول السماع " ألا يعتقد المستمع محظوراً، أو يسمع على مذموم في الشرع، أو ينجر في زمام هواه، أو ينخرط في سلك لهوه".[٩٠]

فإذا أمعنا النظر طويلاً فيما قرره القشيري وجدنا السهروردي من بعده يؤكده في غير مواربة، حتى إنه يبدأ حديثه في السماع قبولاً وإيثاراً بالآية القرآنية نفسها التي بدأ بها القشيري حديثه في باب السماع، مستدلاً بها على جوازه وإيثاره، موضحاً معنى أحسنه بأنه أهداه وأرشده.فهذا السماع " هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب"[٩١].

بالإضافة إلى ذلك، فإن كان السماع هنا يوجب لدى المستمع الرغبة في الطاعة، وتذكر ما أعد الله لعباده المتقين من درجات، ويحفظه عن الزلات، ويؤدي بقلبه إلى حال الصفاء، فهو بهذا " مستحب في الدين ومختار في الشرع"[٩٢].

نفهم من هذا أن السماع يكون مقبولاً أو مرفوضاً بحسب الحال التي يحققها للسامع، فإن جاء على سبيل اللهو واللعب، فأثار في النفس الشهوات وبواطن الحرام شرعا كان مذموما منكراً، أما إذا جاء موافقاً لقلب صاف مملوء ببرد اليقين كان محفزاً على الطاعة، وهذ هو السماع الحق، لذلك حرص أبو طالب المكي على توضيح أنماط للسماع من حرام وحلال وشبهة بقوله: " في السماع حرام وحلال وشبهة، فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوي فهو حرام، ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه، ومن سمعه بقلب يشاهد معاني تدله على الدليل ويشهده طرفات الجليل فهو مباح".[٩٣]

وبناء على ذلك، لم يحرمه الشافعي (رحمه الله)، وإن كان يجعله في العوام مكروهاً، حتى لو كنا نتحدث عن احتراف الغناء، او من كان موصوفا بدوام سماعه على وجه التلهي، فحكمه عندئذ " ترد به الشهادة و يجعله مما يسقط المروءة، و لا يلحقه بالمحرمات " [٩٤].

وبالرغم من أن كلام القشيري والصوفية ليس في هذا النوع من السماع، فقد جلت رتبتهم عن أن يستمتعوا بلهو، أو يقعدوا للسماع بسهو، أو يكونوا بقلوبهم مفكرين في مضمون لغو. فصدق الجنيد حين قال: " كل قلب ملوث بحب الدنيا، فسماعه لهو، وإن تلفت نفسه فيه وذهب روحه"[٩٥].

ولعمري لقد اشترط القشيري في السماع ألا يتواجد المستمع، فيظهر ما ليس فيه، فيحكى على لسان أحد الصوفية قوله: " لأن تغتاب أنت ثلاثين سنة أنجى لك من أن تظهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في السماع ما لستَ به"[٩٦]، وهذا القول يقع على دراويش عصرنا اليوم من مدعي التصوف، ممن صارت الطريقة عندهم تقتصر على الثياب البالية، وحلقات السماع مقترنة بالرقص المصطنع، أو جعله وسيلة لكسب العيش المتسول من أيدي الغير، وغيره من السلوكيات البعيدة عن آداب الطريقة .

فإذا كان ذلك كذلك، فلا عجب إن تابع السهروردي القشيري في تبني الرأي نفسه بعد ذلك، برفض سفارة الحركات و الرقص، وإظهار التواجد، الذي هوعين الفسق، بقوله: "الرقص نقص، لأنه رقص مصدره الطبع، غير مقترن بنية صالحة، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك شوب حركاته بصريح النفاق بالتودد والتقرب إلى بعض الحاضرين من غير نية، بل دلالة نشاط النفس من المعانقة وتقبيل اليد والقدم، وغير ذلك من الحركات التي لا يعتمدها من المتصوفة إلا من ليس له من التصوف إلا مجرد زي وصورة ".[٩٧]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة وأهم النتائج:

نخلص من كل ما سبق إلى ما يلي ..

- مارس القشيري نوعاً من النقد الذاتي لحال لصوفية في عصره. وكان يهدف بهذا الإصلاح الداخلي من جهة، وغيرة منه على الطريقة وآدابها من جهة أخرى، ويبدو أن هذا كان شعار التصوف في هذه الفترة، وأعني بذلك حركة الإصلاح الداخلية النابعة من رحم الطريقة وأهلها.وهو ما نجد صداه لدى الهجويري في كتابه "كشف المحجوب" الذي كتبه للغاية نفسها كما هو بين من مقدمة صاحبه.
- وقد عمل على تحقيق غايته - الإصلاح الداخلي للصوفية - تلك من خلال محاور ثلاثة، تتمثل في أولاً: بيان اعتقادات الصوفية في مسائل الأصول، منبهاً إلى حقيقة مهمة تمثلت في أن التصوف المشروع هو ذلك الذي يلتزم الاتباع التام لعقيدة أهل السلف فيما دانوا به، ثانياً : تصحيح المفاهيم والممارسات الخاطئة عند البعض منهم كالتواكل والفقر، ثالثاً: ذكر سيرة الشيوخ الأوائل وآدابهم، ليكونوا قوة وقدوة في الوقت ذاته لصغار المريدين من سالكي الطريق.فالصوفية في خير طالما تنافروا ونبه بعضهم بعضا، فإن تراخوا وأغفلوا عن تصحيح الأخطاء، حصل الهون والضعف وآلت إلى الزوال.
- انتصر القشيري للتصوف السني الذي يعد واحداً من أشهر رجاله، فقدم لنا صورة للتصوف الإسلامي النقي الذي يستقيم وتعاليم الدين الإسلامي المعتدل بلا إفراط ولا تفريط، وهو ما يلقي بظلاله على سيادة المذهب الأشعري في ذلك الوقت وتغلبه على سائر المذاهب الكلامية الأخرى، مع الوضع في الاعتبار أن الإمام القشيري كان أشعريا، وقد كتب رسالته المعنونة بـ "القصيدة الصوفية"، وعدد أبياتها تسع وثلاثون بيتاً، لخص فيها عقيدة الأشعري ليؤكد أن عقائد الصوفية في أصولها لا تخرج عنها. ومدافعا عن الطريقة وأهلها في وجه المخالفين الذين اتهموا أهل الطريقة بالكفر والزندقة.
- حرص القشيري على تقديم صورة الصوفية معتدلة نقية، فرفض مظاهر الغلو في القول والفعل من جانب بعض الغلاة، ونبه إلى سوء مسلكهم، ومغبة أفعالهم التي تخرج بهم من دائرة التصوف الصحيح الذي يتوافق وما جاء في الكتاب والسنة.
- تتبدي قناعة القشيري شأنه شأن غيره من الصوفية بأهمية العلاقة الروحية القائمة بين الشيخ والمريد، حين يشترط على المريد في بداية الطريق ضرورة اتخاذه لشيخ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوثق في علمه، وهو وإن بالغ قليلاً في تقرير حق الشيخ على المريد، إلا أنه تمكن بفطنة واضحة من غلق باب من الانتقادات الفجة التي توجه للصوفية دومـــا بـــشأن هذه المسألة، وذلك بفضل جملة الحقوق والواجبات التي جعلها ملزمة للطرفين أولاَ، وحقيقة تأكيده على حفظ الشيخ لا عصمته ثانياَ.

- كما يتبدي منهج القشيري المعتدل في التصوف، حين يقر السماع كرياضة مقبولة لا مرفوضة، ويستدل على صحتها بعدد كبير من الأخبار والحكايات، وما جـــاء فـــي الكتاب والسنة، لكنه في الوقت نفسه يضع الشروط المقيدة التي تحفظه عـــن اللهـــو واللعب، وما ارتبط بهما من تواجد وحركات أو رقصات سافرة لدى بعض مـــدعي التصوف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هوامش البحث:

١- الغزالي، المنقذ من الضلال، راجعه دكتور محمد سعيد رمضان، حققه وقدم له محمود بيجو، ط٢، ١٩٩٢م، ص ٦٩ .

٢- القشيري، الرسالة القشيرية، اعتني به وحققه أبو سهل نجاح عوض، دار المقطم للنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤.

٣- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٤- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م، ص١٤٥.

٥- انظر في ترجمة القشيري، ابن كثير، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ج١، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤ م، ص٤٢٢، ٤٢٣، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، ج١، ص ٦٢٩ .

٦- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٢٧.

٧- سورة البقرة، آية ١٦٣.

٨- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٤٠٣.

٩- سورة الإخلاص، آية (١).

١٠- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٤٠٤.

١١- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الريان للتراث، الجيزة، بدون تاريخ، ص ٤٧، ٤٨ .

١٢- سورة الشورى (١١).

١٣- أحمد الجزار، الله والإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري، المركز الثقافي في الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، ١٩٩٤، ص ٢٤.

١٤- الجرجاني، التعريفات، المحقق محمد صديق المنشاوي دار الفضيلة، مادة حلول. ص٩٨.

١٥- البغدادي : الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ص١٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦- شهاب الدين السهروردي (المقتول)، الرسائل الصوفية، ترجمة وتعليق عادل محمود بدر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص١١٨.

١٧- ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ ص١٦٧.

١٨- القشيري، كتاب شرح أسماء الله الحسنى، أحمد عبد المنعم عبد السلام، دار آزال، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م. ص٢٦٠.

١٩- رواه صحيح البخاري .

٢٠- القشيري، كتاب شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٦٠.

٢١- المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

٢٢- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٢٧

٢٣- مصطفي حلمي، ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر، الاسكندرية، ص٢٥١.

** إدريس شاه، الصوفيون، ترجمة بيومي قنديل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٦ م، ص ٧٦.

٢٤- أحمد محمود الجزار، فخر الدين الرازي والتصوف، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص٢٢٧، انظر أيضا رسالة عبد الوهاب الشعراني، بعنوان الفتح في تأويل ما صدر عن الكل من الشطح، ، تحقيق إبراهيم عبد النبي، دار الحسام للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٢٠١٦م .

٢٥- القشيري، رسالة بلغة المقاصد، ضمن كتاب ثلاث رسائل في العقيدة، ص١٦٣.

٢٦- أحمد محمود الجزار، المعرفة عند أبي سعيد ابن أبي الخير، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٢٢.

٢٧- انظر على سبيل المثال، هجوم ابن الجوزي على التصوف والصوفية بوجه عام، والإمام القشيري ورسالته القشيرية بوجه خاص، حيث يقول: " فالتصوف مذهب يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره، وصنف لهم عبد الكريم ابن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والقبض والبسط والوقت ..." كتاب تلبيس ابليس، ص ١٦٠، وأبو سليمان الخطابي، وكتابه العزلة، ، حققه وعلق عليه ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص٢٢٢، ٢٢٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٨- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٥٢١.

٢٩- الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج١، حققه وقدم له طه عبد الباقي، السيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، الجزء الأول، ١٩٨٨م، ص١٨.

٣٠- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٥٢٢.

٣١- المصدر نفسه، ص٣، ٤ .

٣٢- المصدر نفسه، ص١٤٥

٣٣- القشيري، كتاب ترتيب السلوك، ضمن أربع رسائل في التصوف، تحقيق دكتور قاسم السمرائي، مطبعة المجمع العراقي، ١٩٦٩م، ص٢٧.

٣٤- السهروردي، عوارف المعارف، مجلد ١، تحقيق وضبط أ.د أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار توفيق على وهبه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص٩٠.

٣٥- الجيلاني (عبد القادر)، الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الريان للتراث، الجيزة، دون تاريخ، ص٢٩.

٣٦- القشيري، الرسالة القشيرية، ص ١٠٥.

٣٧- المصدر نفسه، ص٧١.

٣٨- المصدر نفسه، ص٩٤.

٣٩- المصدر نفسه، ص١٠٧

٤٠- سورة النساء، آية ١٣.

٤١- القشيري، لطائف الإشارات، ٣ أجزاء، وضع حواشيه وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م. ص٢٦٤.

٤٢- سورة النور، آية ١٥.

٤٣- عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، حققه وقدم له طه عبد الباقي، السيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، الجزء الأول، ١٩٨٨م، ص ٧٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٤- القشيري، لطائف الإشارات، ج١، ص١٥.

٤٥- القشيري، الرسالة القشيرية، ص١٠٩.

٤٦- القشيري، لطائف الإشارات، ج٢، ص٣٨٨.

٤٧- سورة المائدة، آية ٢٣ .

٤٨- القشيري، لطائف الإشارات، ج١-، ص٢٦٠.

٤٩- سورة إبراهيم، آية ١٢ .

٥٠- سورة التوبة، آية ٥١.

٥١- الطوسي، اللمع، حققه وقدم له، دكتور عبد الحليم محمود، دكتور طه عبـــد البـــاقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٠م، ص٧٨.

٥٢- القشيري، لطائف الإشارات، ج٢، ص٣٨٩.

٥٣- المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٩.

٥٤- المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩.

٥٥- المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩٠.

٥٦- سورة يونس، آية ٢٥.

٥٧- سورة الشمس، الآيتان ٧، ٨.

٥٨- القشيري، كتاب شرح أسماء الله الحسنى، ص ٢٦١.

٥٩- القشيري، لطائف الإشارات، ج١، ص٥٩ .

٦٠- القشيري، كتاب شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٠٩.

٦١- سورة الرعد، آية ٣٣.

٦٢- القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٠٩.

٦٣- سورة الفرقان، آية ٥٨.

٦٤- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٢٤١.

٦٥- أخرجه الترمذي(٢٥١٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦٦- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٢٤٦.

٦٧- سورة النور، آية ٣١.

٦٨- القشيري، لطائف الإشارات، ج١، ٣٧٠.

٦٩- سورة فاطر، آية ١٥.

٧٠- القشيري، لطائف الإشارات، ج٣، ٦٤.

٧١- الطوسي، اللمع، ص١٥١.

٧٢- القشيري، كتاب ترتيب السلوك، ص٥٣.

٧٣- المصدر نفسه، ص٢٥.

٧٤- المصدر نفسه، ص٥٤.

٧٥- المصدر نفسه، ص٥٤.

٧٦- القشيري، لطائف الإشارات، ج١، ص٣٨٣.

٧٧- سورة البقرة، آية ١٥٩.

٧٨- القشيري، كتاب ترتيب السلوك، ص٥٥.

٧٩- القشيري، لطائف الإشارات، ج١، ص ٣٧٦.

٨٠- الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، الجزء الأول، حققه وقدم لـه طه عبد الباقي، السيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، الجـزء الأول، ١٩٨٨م، ص٥٢.

٨١- القشيري، كتاب شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٣٠.

٨٢- انظر على سبيل المثال نقد الإمام محمد عبده لعلاقة الشيخ بالمريد لـدى صـوفية عصره، محمد عبده، الأعمال الكاملة، ج٤، ص ٥٩٨وما كتبه أستاذنا الدكتور أحمد الجزار في دراسته عن الإمام محمد عبده والتصوف، ضمن كتاب دراسـات فـي التصوف الإسلامي، دار الوفاء للنشر، الإسـكندرية، الطبعـة الأولـي، ٢٠١٥ م، ص١٩٥ : ٢٢٧ .

٨٣- القشيري، لطائف الاشارات، ، ص ٢٢، ج٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨٤- سورة النساء ١٧ .

٨٥- الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، نشر لأول مرة بتصحيح أرثر جون أريري، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٩٤م، ص٤٧.

٨٦- سورة الحجر، آية ٤٢.

٨٧- الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص٤٧ .

٨٨- أحمد الجزار، في التصوف الإسلامي، قضايا وشخصيات، ص١٣٩.

٨٩- سورة الزمر، آية ١٨.

٩٠- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٤٤٦.

٩١- السهروردي، عوارف المعارف، مجلد ١، تحقيق وضبط أ.د أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار توفيق علي وهبه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٩٢، انظر كلام السهروردي في السماع تفصيلاً الباب الثاني والعشرون في السماع قبولاً وإيثاراً، وما وبعده، ص ١٩٢: ٢٢٦.

٩٢- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٩٣- المصدر نفسه، ص١٩٤.

٩٤- المصدر نفسه، ص٤٤٧.

٩٥- الطوسي، اللمع، ص٢٤٧.

٩٦- القشيري، الرسالة القشيرية، ص٤٦٣ .

٩٧- السهروردي، عوارف المعارف، ص١٩٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر والكتب العربية القديمة:-

١- ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن)، تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ.

٢- ابن كثير، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ج١، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.

٣- البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.

٤- الجيلاني(عبد القادر)، الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الريان للتراث، الجيزة، دون تاريخ.

٥- الخطابي (أبو سليمان)، كتاب العزلة، حققه وعلق عليه ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م .

٦- إدريس شاه، الصوفيون، ترجمة بيومي قنديل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٦ م .

٧- السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين سريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م.

٨- السهروردي (أبو حفص عمر بن محمد)، عوارف المعارف، مجلد ١، تحقيق وضبط أ.د أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار توفيق على وهبه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٩- السهروردي (شهاب الدين)، الرسائل الصوفية، ترجمة وتعليق عادل محمود بدر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولي، ٢٠٠٧م.

١٠- الشعراني(عبد الوهاب)، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، حققه وقدم له طه عبد الباقي، السيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، الجزء الأول، ١٩٨٨م .

١١- الشعراني(عبد الوهاب) الفتح في تأويل ما صدر عن الكل من الشطح، ، تحقيق إبراهيم عبد النبي، دار الحسام للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٢- الطوسي (السراج)، اللمع، حققه وقدم له، دكتور عبد الحليم محمود، دكتور طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٠م.

١٣- الغزالي (أبي حامد)، المنقذ من الضلال، راجعه دكتور محمد سعيد رمضان، حققه وقدم له محمود بيجو، ط٢، ١٩٩٢م.

١٤- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم)، كتاب الرسالة القشيرية، اعتني به وحققه أبو سهل نجاح عوض، دار المقطم للنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤.

١٥- _____، كتاب ترتيب السلوك، ضمن أربع رسائل في التصوف، تحقيق دكتور قاسم السمرائي، مطبعة المجمع العراقي، ١٩٦٩م.

١٦- _____، شرح أسماء الله الحسنى، أحمد عبد المنعم عبد السلام، دار آزال، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.

١٧- _____ رسالة بلغة المقاصد، ضمن كتاب ثلاث رسائل في العقيدة.

١٨- _____، لطائف الإشارات، ٣ أجزاء، وضع حواشيه وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٩- الكلاباذي(الحارث بن أسد)، التعرف لمذهب أهل التصوف، نشر لأول مرة بتصحيح أرثر جون أريري، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٩٤م.

٢٠- المناوي(محمد عبد الرؤوف) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، ج١، ١٩٩٤.

٢١- الهجويري(أبو الحسن على بن عثمان الجلابي)، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق دكتور إسعاد عبد الهادي قنديل، راجع الترجمة دكتور أمين عبد المجيد بدوي، مكتبة الإسكندرية، ١٩٧٤.

ثانياً أهم المراجع العربية الحديثة :-

٢٣- التفتازاني (أبو الوفا)، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٩م.

٢٤- الجزار(أحمد محمود)، دراسات في التصوف الإسلامي، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٥م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٥- _____، الله والإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري، المركز الثقافي في الشرق الأوسط، ط٢، ١٩٩٤م.

٢٦- _____ المعرفة عند أبي سعيد بن أبي الخير، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولي، ٢٠٠٠.

٢٧- _____- فخر الدين الرازي والتصوف، الطبعة الأولي، ١٩٩٦.

٢٨- حلمي (مصطفى)، ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، دون تاريخ.

ثالثاً المعاجم العربية:-

٢٩- الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف)، التعريفات، المحقق محمد صديق المنشاوي دار الفضيلة، مادة حلول.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠٠٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com